



أساليب الأمر والنهي والنداء في سورة الأنفال - مقارنة بلاغية - *Styles of imperative, prohibition, and address in Surah Al. Anfal: A rhetorical approach*

هاجر بوعكاز*

مخبر التراث الأدبي الجزائري الرسمي والهامشي
جامعة سكيكدة (الجزائر)

h.bouakkaz@univ.sikda.dz

تاريخ النشر: 2026.07.15

تاريخ القبول: 2026.05.10

تاريخ الاستلام: 2026.03.05

ملخص:

يهدف هذا المقال إلى ملامسة لغة القرآن الكريم، ومحاولة الوصول إلى مقاصد الرسالة الربانية في سورة الأنفال، معتمدين في ذلك على ما يتيح لنا الدرس البلاغي العربي القديم من أدوات إجرائية تمكننا من مساءلة هذا النص الديني، وقد اقتصرنا الدراسة على صنف الأساليب الطلبية (الأمر والنهي والنداء)، وهي مضامين دلالية غابت عن السطحية المباشرة، قد كان من أهم النتائج المتوصل إليها أن هذه الأساليب تعتبر خصيصة جوهريّة في الخطاب القرآني، وذلك أنه نص توجيهي بامتياز، يقوم على الخطاب الطلبي للعباد، والذي يُرجى منه نتيجة أو منجز فعلي معين.

الكلمات المفتاحية: البلاغة؛ الأساليب الإنشائية؛ الأمر؛ النهي؛ النداء، سورة الأنفال.

Abstract:

This article aims to touch the language of the Holy Qur'an and to try to reach the purposes of the divine message in Surah Al-Anfal, relying on what the old Arabic rhetorical study provides us with in terms of procedural tools that enable us to question this religious text. The study was limited to the category of imperative styles (command, prohibition, and call), which are semantic contents that were absent from the direct surface. One of the most important results reached was that these styles are considered an essential characteristic in Qur'anic discourse, as it is a directive text par excellence, based on the rhetorical request to the servants, from which a specific result or actual achievement is hoped for

Keyword: Structural techniques; Style of address; Prohibition; The imperative; Surah Al-Anfal.

* المؤلف المراسل.

1. مقدمة

حين نعود إلى ماضي المعرفي، والمشكل من آلاف المصنفات والمؤلفات المعرفية والعلمية في شتى الميادين الإنسانية، وحين نتصفح كتب علماء العربية القدماء الذين اهتموا باللغة العربية، فإنها تبرز الغاية العقائدية أو الدينية هي المحرك والباعث الأكبر لهؤلاء العلماء للبحث في قضايا العربية ومسائلها، وتبرز الغاية الأسمى لهم في جملة تناثرت في مؤلفات عديدة مفادها: "فهم لغة القرآن الكريم"، وهي اللغة الإعجازية التي سحرت العربي، وأخرجته في أسمى ما يملك، فلم يكن البحث في لغة القرآن ودقائق العربية يسلك طريقا واحدا، بل تعددت بتعدد أسرار وخفايا وإعجاز هذه اللغة الربانية، وهذا ما يُبرر كثرة الفرق الدينية التي تناولت مسائله وقضاياها.

تمتد المسائل وتختلف من مؤلف إلى آخر، وفي كل مؤلف نعث على زبد من القول في أسرار لغة القرآن الكريم، وهي بذلك تصنع إرثا معرفيا لا يستغنى عنه الباحث المعاصر، فهي المنطلق والركيزة الأساسية، والمدخل لفهم الحياة الدينية والعقائدية في مهادها الأول، وهي المنهل القريب من عهد الرسول ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم، وهي السجل التاريخي الذي يبين كيف عالج هؤلاء مسائل القرآن ونظروا ونظروا فيه، فلهذا كان الباحث المعاصر يحاول أن يستفيد من ذلك الإرث ويسعى إلى تقديم الجديد، ولا نقول بديلا وتلك مسألة أخرى.

نحاول في هذه الدراسة أن نبحت في لغة القرآن الكريم وفق الرؤية البلاغية لأساليب الإنشاء الطلبي (الأمر والنهي والنداء)، وذلك أن الباحث، لا يمكن أن يشعر بالقيمة البلاغية والدلالية للنص القرآني، دون ممارسة تطبيقية من لدنه، حتى وإن كان البحث مستفيضاً في هذه الجوانب التي تعتبر كلاسيكية يُنفر منها، فإن الباحث لِيَصِلَ إلى هذه المقاصد الربانية بنفسه، وشتان بين السمع والقراءة، وبين الممارسة التطبيقية لها، فمن هذه الممارسة التدبرية، يولد حس معرفي صلب، له الحجة البليغة في القول: إن لغة القرآن لغة بليغة، معجزة في لفظها وفي تراكيبها، لتكون إشكالية البحث على النحو الآتي:

ما هي الأبعاد الدلالية لأساليب الإنشاء الأمر والنهي في سورة الأنفال؟ وكيف أبرزت المقصدية الربانية، وتأثيرها على المتلقي السامع؟

إن من الدراسات السابقة التي رأيها قد تمثلت تداولية أفعال الكلام في النص القرآني، هي دراسة للباحثة حكيمه بوقرومة في مقال موسوم بـ "الإنشاء الطلبي وبلاغة الصورة الشعرية (قراءة في ديوان الإمام الشافعي)"، وهي دراسة مجملّة في الشعر، وعبر اختيار نماذج شعرية مختلفة، واستنطاقها، إلا أن دراستنا اقتصرنا على صنف التوجيهيات (أمر، ونهي، ونداء)، لما لهذه المقولات اللفظية من بني صوتية تجعل متلقي الخطاب في حالة استثارة دائمة، ولما لها أيضا من مقاصد دلالية تفهم من خلال الغرض البلاغي، ومن خلال التأثير الفعلي لها.

تهدف هذه الدراسة إلى مجموعة من الغايات التحصيلية، نجملها في النقاط الآتية:

- ملامسة الخطاب القرآني، ومحاولة البحث فيه كنموذج كل الخطابات، ولأنه بنية لغوية يعد البحث والتدبر فيها عبادة ربانية، مصداقا لقوله جل ثناؤه (كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ

وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾ [سورة ص 29]

- الوقوف على الاستعمال الكلامي والغرض البلاغي لأساليب الإنشاء الطلبية (الأمر والنهي والنداء)، كعينات لغوية الأكثر استعمالا في النص القرآني الكريم.

- الممارسة التطبيقية التدبرية من لدنا في هذا الخطاب الرباني المبارك، وتأكيد أهمية الدرس البلاغي الكلاسيكي القديم في الكشف عن المضمر الكلامي.

اتبعنا منهجية تقوم على مقدّمة، وهي عبارة عن مدخل عام لموضوع الدراسات القرآنية، ثم العرض وقدّمنا فيه مفهوما للأساليب الإنشائية في بعدها التواصلية، وتعريفها اللغوي والاصطلاحي، ثمّ تعريفا موجزا لسورة الأنفال محور الدراسة، ثم بدأنا في الشق التطبيقي ممثلا في بلاغة أساليب الأمر والنهي والنداء في سورة الأنفال عبر آيات بينات منها.

2. الأساليب الإنشائية الطلبية وبعدها التواصلية:

تظهر الكينونة الحقيقة للغة في بعدها الخطابي والتواصلية، فهي أداة نفعية بين بني البشر، لأن اللغة في أبسط وأدق مفاهيمها كما عرفها ابن جني: «أما حدها (فإنها أصوات) يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»⁽¹⁾، وجاء في النص القرآني قوله جل ثناؤه (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكروا أنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) [سورة الحجرات: الآية 13]. إن الآية أبرزت محورا أساسا في سنن الحياة، والتي تقوم أساسا على فكرة التعارف والتعايش، جاء في تفسير التحرير والتنوير لهذه الآية «والتعارف يحصل طبقة بعد طبقة متدرجا إلى الأعلى، فالعائلة الواحدة متعارفون، والعشيرة متعارفون من عائلات إذ لا يخلون عن انتساب ومصاهرة، وهكذا تتعارف العشائر مع البطون والبطون مع العشائر، والعشائر مع القبائل، والقبائل...»⁽²⁾. وهذا التعايش والتعارف لا يتم إلا من خلال حصول بعض الأنظمة التي تضمن هذه الفكرة بكل تشكلاتها، وأول هذه الأنظمة اللغة، هذا النظام التواصلية الذي يقوم بالأساس على أسلوبين، ما يعرف في البلاغة العربية القديمة بالأسلوب الخبري والأسلوب الإنشائي، وهو محل هذه الدراسة، فلأساليب الإنشائية خصيصة أساسية في أداء الوظيفة التواصلية، إذ تندرج ضمن أي نصّ إبداعي «وأي أسلوب بلاغي مهما قيل فيه قديما وحديثا إنما هو بنية لغوية دلالية مباشرة وغير مباشرة، تحمل وظائف الإثارة والإمتاع في الوقت الذي يحمل وظيفة التوصيل والإبلاغ والإفادة بنقل الأفكار»⁽³⁾. فتأتي أغراض بلاغية معه متعدّدة ومتنوّعة تبين غاية ومقصد المتكلّم، إن فكرة الوظيفة التواصلية لهذه

(1) أبو الفتح عثمان، ابن جني: الخصائص، ج 01، ص 33.

(2) محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ص 259.

(3) حسين جمعة: جمالية الخبر والإنشاء، ص 19.

الأساليب تكمن في الأبعاد التي يقصدها باث الرسالة، فكم من أسلوب إنشائي (أمر أو نهي أو نداء) تكون مليئة بالحسن البلاغي الرفيع، والجمالي الفريد، في المقابل تُخرج بنية التركيب الدلالي فيضاً من الرسائل التواصلية، التي تستدعي إنجازاً، أو أثراً في المتلقي يرجى منه حدث ما.

إن نجاح العملية التخاطبية ترتكز على مجموعة من المقومات والمركبات والشروط التي لا بد وأن تتوافر في المرسل والمرسل إليه والخطاب كآلية أساسية في العملية الخطابية، وكثيراً ما نجد في التراث العربي إشارات إلى هذه الثلاثية، فقد كانت مدار ما جاء في مصنفات الجاحظ، حين حدد شروط الكلام البليغ، فهو حسب "حمادي صمود" كان سباقاً للكشف عن شروط نجاعة العملية الخطابية «ولا تقتصر أهمية ما تفتن إليه الجاحظ على ما فيه من مظاهر الحداثة والمعاصرة، فقد اهتدى في وقت مبكر من تاريخ العلوم اللغوية والبلاغية إلى ما يحف بظاهرة الكلام من الملابس، وهو أول مفكر عربي تقف في أرائه على نظرية متكاملة تقدر أن الكلام، وهو المظهر العلمي لوجود اللغة المجرد، ينجز بالضرورة في سياق خاص يجب أن تراعى فيه (...) جملة من العوامل كالسامع والمقام وظروف المقال»⁽¹⁾. فالجاحظ يتحدث عن الخطاب كبنية لغوية، تنطلق أسسه من المتكلم وتقصد السامع، وفق شروط خاصة، بالكلام والمتكلم، أي خروج الكلام من بنيته اللغوية إلى دائرة الاستعمال والتخاطب.

إن الجمع بين الغاية البلاغية والغاية التواصلية التي تقوم على التفاعل بين طرفين، تتطلب جهداً لغوياً كافياً يجمع بين البراعة والإتقان، فاللغة العارية من الحسن والجمال يبقى تأثيرها جافاً ينعدم معه الالتفات أو التزكية الشعورية للخطاب المسموع، والذي تحدثه الأساليب الطلبية _ محل هذه الدراسة _ في القرآن الكريم، يجمع بين هذين الطرفين، لأنها هي مجموعة من الأفعال التوجيهية التي تقصد إحداث أثر، وتتضمن أفعالاً (نهي أمر نداء) مضامين أصولية، وذلك لاحتوائها على مقاصد دينية وعقائدية مهمة، تبرز في الأسلوب الطلبي وفي غرضه البلاغي وفي الأثر المترتب عنه، فالله جل ثناؤه قال في محكم تنزيله ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات 56]. إن هذه العبادة تستلزم على العبد أن يعرف أوامره سبحانه وتعالى ويمثل لها، ويعرف نواهيه ويتجنبها، أي أن التوجيهيات بما تتضمنه من (أمر، ونهي، ونداء) هي «جوهر القضية الاجتهادية في تفسير النصوص، ومسألة مهمة عند الأصوليين خاصة، كمسألة الأمر ودلالته في المواضعة والاستعمال، وهذه الأفعال طلبية توجيهية تحسب كمحاولات لتحقيق تأثيرها عبر فعل المستمع كالنداء والأمر والنهي»⁽²⁾.

3. ما هي الأساليب الإنشائية الطلبية التوجيهية

تندرج الأساليب الإنشائية الطلبية ضمن مبحث علم المعاني، والذي يندرج هو ضمن المباحث الكبرى لعلوم البلاغة الثلاثة (المعاني، البيان، والبديع)، تكون الأساليب الإنشائية بصيغها المختلفة الأكثر حركة

(1) حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس، ص 185.

(2) حكيمة بوقرومة: دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم، مقارنة تداولية، ص 12.

وحيوية وفاعلية في الإنتاج الدلالي والجمالي، وذلك لتعدد الأغراض البلاغية التي يخرج لها هذا الضرب الكلامي، يذهب أحمد مطلوب في كتابه "معجم المصطلحات البلاغية"، إلى اعتبار أن أسلوب الإنشاء غير الطلبي أقل أهمية وقدرًا وشأنًا في التوظيف البلاغي، باعتبار أن الأساليب الإنشائية منها ما هو طلبي، ومنها ما هو غير طلبي، يقول: "ولا يهتم البلاغيين بهذه الأساليب الإنشائية لقلة الأغراض المتعلقة بها، ولأن معظمها أخبار نقلت عن معانيها الأصلية، أما الإنشاء الذي يعنون به فهو الطلبي لما فيه من تفنن القول"⁽¹⁾. وهذه من الأسباب التي حملتنا إلى هذه الدراسة، الغاية الاستكشافية لمرونة وطواعية هذه العينة البلاغية في استحداث الأثر الخطابي، وفي توليد المقاصد الكلامية بكثير من الحيوية في التعبير اللغوي، بعبارة أخرى تلمس الأغراض البلاغية لهذه الأساليب التي لا تتأتى إلا باستحضار السياق والعوامل الخطابية المحاطة بإنتاجيته، فما هو حد الأسلوب الإنشائي في اللغة والاصطلاح؟

الإنشاء لغة: جاء في لسان العرب لابن منظور ت: (711هـ): «أَنْشَأَ اللهُ خَلْقَهُ، وَنَشَأَ السَّحَابُ نَشْأً وَنُشُوءًا ارْتَفَعَ وَبَدَأَ (...) وَأَنْشَأَ اللهُ الْخَلْقَ ابْتَدَأَ»⁽²⁾. فالإنشاء في اللغة هو الخلق والبدء والارتفاع. اصطلاحاً: هو عند السيوطي: "اقتران المعنى بلفظه"⁽³⁾. وهو عند المعاصرين «كلام لا يحتمل الصدق والكذب لذاته»⁽⁴⁾. وأسلوب الإنشاء قسمان، إنشاء طلبي، وإنشاء غير طلبي.

القسم الأول أسلوب الإنشاء الطلبي: هو القسم الأول ويعرف على أنه: «وهو ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب وهو خمسة أنواع: الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني، والنداء»⁽⁵⁾. والأمر هو «هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والالزام»⁽⁶⁾.

والنهي له صيغة واحدة وهو المضارع المقرون بلام الأمر «وهو طلب الكفّ عن الفعل أو الامتناع عنه على وجه الاستعلاء»⁽⁷⁾.

والنداء: وهو «طلب إقبال المدعو الداعي بأحد حروف مخصوصة ينوب كل حرف منها مناب الفعل ادعو»⁽⁸⁾.

وهذه الصيغ هي محل دراستنا في سورة الأنفال.

(1) أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية، ص 334.

(2) ابن منظور: لسان العرب، ج 01، مادة (نشأ)، ص 170.

(3) جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج 03، ص 1686.

(4) أحمد مطلوب معجم المصطلحات البلاغية، ص 332.

(5) أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية، ص 332.

(6) عبد العزيز عتيق: في البلاغة العربية، علم المعاني، ص 75.

(7) عبد العزيز عتيق: في البلاغة العربية، علم المعاني، ص 83.

(8) عبد العزيز عتيق: في البلاغة العربية، علم المعاني، ص 114، 115.

والقسم الثاني هو أسلوب الإنشاء غير الطلبي، ويعرف على أنه «وهو ما لا يستدعي مطلوبا وله أساليب عديدة»⁽¹⁾. ومنها صيغ المد والدم، والتعجب، والقسم. «والبلاغيون لا يكادون يلقون بالا إلى هذا القسم الثاني، لقلة المباحث المتعلقة به، ولأن أكثره في الأصل أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء»⁽²⁾. والملاحظ أن أسلوب الإنشاء يضم صيغا متعددة، تتعدد معها المقاصد وتنوع، خاصة مع القسم الأول، الإنشاء الطلبي، «وقد اهتم العلماء والبلاغيون بالإنشاء الطلبي نظرا لتنوع صوره وتعدد أسرار البلاغية والدلالية، حيث إن صوره الخمسة تخرج في أغلب الأحيان عن معناها الحقيقي إلى معنى مجازي، وهو ما يجعلها أعمق من حيث الدلالة والأسلوب»⁽³⁾. أي الأغراض البلاغية وما تستزيده من دلالات ومعاني جديدة.

4. الأمر النهي والنداء في سورة الأنفال، بين الحقيقة والمجاز

الأنفال من السور المدنية، ترتيبها في القرآن الكريم، ثمانية (08)، نزلت في غزوة بدر، قيل أن هذه السورة بعد سورة البقرة، ثم قيل هي الثانية نزولا بالمدينة. وقد تضمنت السورة الكريمة جنس واحدا من الأحكام، وهي أحكام المغانم والقتال⁽⁴⁾. والبحث في لغة القرآن من نوافذ تحصيل البلاغة الشريفة، والعلم النافع المبارك، «إذ هو كتاب السماء إلى الأرض مستقرا ومستودعا، وقد جاء بالإعجاز الأبدي الذي يشهد عليه الدهر ويشهد الدهر عليه»⁽⁵⁾.

تتداخل صيغ (الأمر والنهي والنداء) بعضها ببعض في سور القرآن الكريم، وسورة الأنفال واحدة منها، فنجد في الآية الواحدة تشاكل بين هذه الصيغ معا، وهذا ما جعلنا ندرس كل آية منفردة بما تضمنه من تشكيل إنشائي طلبي، حتى تظهر المقصدية، والغرض البلاغي الذي خرجت إليه الآيات البيّنات.

قال الله عز وجل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الأنفال 01].

اشتملت الآية الكريمة على أفعال بصيغة الأمر، تكررت في أربعة مواضع، (قل، اتقوا، أصلحوا، أطيعوا)، وهي متتالية من الأمرات مقترنة دلاليا بعضها ببعض، خرجت إلى أغراض بلاغية تفهم من سياق السورة الكريمة، فقد جاء في تفسير التحرير والتنوير، «سئل عن الأنفال فقال: فينا معشر أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل يوم بدر فانتزعه الله من أيدينا حين ساءت أخلاقنا فردّه على رسوله فقسمه

(1) أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية، ص 332.

(2) عبد السلام هارون: الأساليب الإنشائية في النحو العربي، ص 14.

(3) عزيزة صالح سعيد بن صديق: الإنشاء الطلبي وبلاغة الصورة الشعرية (قراءة في ديوان الإمام الشافعي)، ص 28.

(4) محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج 09، ص 247.

(5) مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص 27.

بيننا على السواء»⁽¹⁾. ليخرج الفعل الأمري "قل" المرسل إلى النبي محمد ﷺ، تخصيصاً له، يأمره فيها أن يخبر المسلمين أن غنيمة بدر هي لله والرسول وذلك بعدما وقع الخلاف، فكان الغرض هنا تأديبياً للصحابه رضوان الله عليهم، أما الأفعال اللفظية الأمرية الثلاثة المتبقية (اتقوا، اصلحوا، اطيعوا)، فقد خرجت إلى غرض بلاغي وهو النصيح والإرشاد، وكان المخاطب هو عموم المسلمين المجاهدين في غزوة بدر. فنلاحظ انتقال الأفعال الأمرية في آية واحدة من التوجيه التأديبي والتحذيري، إلى أغراض بلاغية ثانية تتماشى مع مضامين الرسالة الإلهية، فهو توجيه ملازم لمقصدية مرسل الخطاب (الله جل ثناؤه)، ممثلاً في النصيح والإرشاد.

قال الله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَفِئَتُهُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْآدْبَارَ ۝﴾ [الأنفال 15]

تضمنت الآية الكريمة أسلوب إنشائي طلبى، جاء بصيغتين مختلفتين، أما الأول فهو فعل لفظي ندائي (يا أيها) والغرض البلاغي منه التنبيه، وهي دلالة مباشرة حقيقية، فهذا الفعل جاء لتهيئة النفس، ثم إن النداء قد خص بفئة معينة من المؤمنين (المجاهدون)، والفعل الثاني جاء على صيغة النهي "لا تولوهم" والمفاد منه «النهي عن الفرار قبل النصر أو القتل»⁽²⁾. أي أن الله سبحانه وتعالى قصد النداء لتهيئة النفس عن ملحمة المعركة، ثم جاء متتالية النهي من أجل بث مقصدية التحذير والتثبيت والتشجيع، «يأمر الله تعالى بالشجاعة الإيمانية، والقوة في أمره»⁽³⁾. لأن الله جل ثناؤه (المخاطب) يعلم في غيبه ما للكفار من قوة وعتاد حربي، على عكس مسلمي بدر، وبالتالي كان النهي لازماً لتثبيت وتشجيع المؤمنين من عدوهم، متجاوزاً الدلالة الحرفية لفعل النهي، وهو عدم تولية الدبر للعدو في ساحة الحرب والمعركة، لتبين معه الحيوية الدلالية التي تلعبها هذه الأساليب في البناء الخطابي المقصدي.

قال الله عز وجل ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ

الْمَرَّةِ وَقَلْبِهِ ۚ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تَحْشَرُونَ ۝﴾ [الأنفال 24]

اشتملت هذه الآية الكريمة على سلسلة من الأفعال الكلامية، زادها الأسلوب الحجاجي قوة في أداء الخطاب، وهي الفعل اللفظي (يا أيها) نداء مباشر وغرضه البلاغي التنبيه، مقترناً بالفعل اللفظي الأمري "استجيبوا"، وكان الغرض البلاغي منه النصيح والإرشاد، لأن القصد في هذه الرسالة الربانية هو الاستجابة لله ثم للرسول وهو المراد ومدار عليه الشأن، ثم يأتي الفعل الأمري (واعلموا)، وكان غرضه البلاغي التوعية والتوجيه.

قال الله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْزَنُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَحْزَنُوا أَمْتَنَ لَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝﴾ [الأنفال 27].

(1) محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 09، ص 248.

(2) محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 09، ص 289.

(3) عبد الرحمن بن ناصر السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص 318.

الآية الكريمة ضمت أسلوب إنشائي طلبي، بصيغتي (النداء والنهي)، الفعل اللفظي في هذه الآية الكريمة (لا تخونوا)، وهو ضمن أفعال النهي، وكان الغرض البلاغي منه هو التحذير، لأن خيانة الله والرسول يعني نقض ميثاق الإيمان والتسليم، «استئناف خطاب المؤمنين يحذرهم من العصيان الخفي⁽¹⁾». كما نلاحظ أن المرسل يرسل خطابه لفئة محددة من المؤمنين، إلا أن المقصدية العامة لفحوى الرسالة متواصلة وممتدة إلى يوم الناس هذا، تجلّى ذلك من خلال الفعل المضارع "تخونوا" الدال على الدوام والاستمرارية، دلالة تتأكد معها أن القرآن الكريم صالح لكل زمان ومكان.

قال الله عز وجل: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنَّ آتَهُمْ قَاتٍ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال 39].

جاء الأسلوب الطلبي الأمري في هذه الآية الكريمة في الفعل "قاتلوهم"، خارجا إلى غرض بلاغي هو الإرشاد والتوجيه، لِمَ في القتال من محاسن، واجتناب وقوع الفتن، «وكان قتالهم مقصودا منه، إعدامهم أو إسلامهم، وبأحد هذين يكون انتفاء الفتنة»⁽²⁾.

قال الله عز وجل: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ أَجْمَعِينَ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنفال 41].

"اعلموا" أسلوب إنشائي غرضه البلاغي التصريح والالتزام والتأكيد «فيكون اعلموا كناية مرادا به صريحة ولازمة»⁽³⁾، فقد افتتحت الآية بتبيان لمن الأنفال، ثم تأتي هذه الآية لتأكيد مضمونها، فالمرسل الله سبحانه وتعالى، ويوضح لفئة من الناس بل وفئة من المؤمنين، وهم أولئك الذين جاهدوا في غزوة بدر، فكان الخطاب صريحا لهم بالكيفية التي يتم من خلالها توزيع غنائم الحرب.

قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَأَطِيعُوا أَمْرَ اللَّهِ وَأَمْرَ الرَّسُولِ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رَاجِعِينَ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال 45].

اشتملت الآيتان الكريمتان على متوالية من الأفعال الطلبية، فوردت الأقوال اللفظية في (النداء، والأمر والنهي)، أما الفعل الأول فكان في النداء (يا أيها)، الغرض البلاغي منه هو التنبيه، الفعل الطلبي الثاني "اثبتوا" وكان الغرض البلاغي منه هو النصيح لِمَ في الفعل من استمرارية، «إذ ليس المراد عدم التحرك بل أريد الدوام على القتال وعدم الفرار»⁽⁴⁾. وقد اقترن هذا الفعل الطلبي بفعل كلامي آخر

(1) محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج 09، ص 321.

(2) محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج 09، ص 347.

(3) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 10، ص 05.

(4) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 10، ص 30.

"اذكروا" وكان الغرض الإنجازي منه هو التذكير، فالثبات مقترن بذكر الله عز وجل، أما الفعل الطلبي "لا تنازعوا" فعل نهي، الغرض الإنجازي منه، هو التحذير، لما في النزاع من تشتت وضياح، وبالتالي استفحال الكفار عليهم.

قال الله عز وجل: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنفال 61].

ضمت الآية الكريمة فعلين أمرين، الأول (فاجنح) وكان الغرض منه التسوية، لأن جنوح المسلمين للسلم مرتبط بجنوح الكافرين له، وإن لم يجنحوا كانت الحرب، ثم تبع هذا الفعل بفعل كلامي آخر وهو الفعل اللفظي (توكل)، وكان الغرض البلاغي هو التفويض. إن الربط الكلامي بين فعلين وردا دالين على الجنوح دون التوكل قد يحمل أمورا غيبية وخيمة على المسلمين، وبالتالي فإن التوكل هو الذي يبطل غدر الكفار «لتكون مدة السلم مدة تقو واستعداد، ولكيفيه الله شر عدوه إذ نقضوا العهد»⁽¹⁾.

5. خاتمة

وفي الختام أمكننا القول، إن الأساليب الإنشائية من صنف الطلبيات التوجيهيات تنوعت في سورة الأنفال، نوضح النتائج المتوصل إليها في النقاط الآتية:

- توزعت الأفعال الإنشائية ضمن صنف التوجيهيات في سورة الأنفال بين النداء والأمر والنهي، بتواتر قدر (47) فعلا، ضمت الأفعال الأمرية (31) فعلا، وضمت الأفعال الندائية (09) فعلا، في حين كان نصيب النهي (07) أفعال
- اختلفت الأغراض البلاغية من آية إلى أخرى، وذلك تماشيا مع مقاصد مرسل الخطاب (الله جل ثناؤه).
- لم يكن الغرض البلاغي ظاهرا كظهور بنية الفعل، وإنما ارتبط بمقصدية المرسل، ويفهم من خلال السياق العام للسورة الكريمة.
- إن الأساليب الإنشائية الطلبية تجعل الخطاب أكثر تنوعا وحركية، من حيث تجاوز الأفعال السطحية والتقريبية، وتعطيه دلالة جديدة يُحتكم إلى السياق لفهم المقصد.
- يكون أسلوب النداء من الأساليب المتبوعة بأفعال طلبية ثانية (أمر، نهي)، فالغاية من النداء هو تهيئة النفوس لتلقي توجيهيات تفهم من السياق القرآني.

وعليه، ونحن نقوم بتدبر الآيات البيّنات، ومحاولة إظهار المظاهر البلاغية فيها (أساليب الأمر والنهي والنداء)، نستطيع القول وبجلاء تام، إن البلاغية القرآنية لا يمكن استشعار وقعها على القلب، إلا بالممارسة التطبيقية لها، نصل فيها إلى نتيجة مفادها، أن تدبر القرآن رسالة ربانية اجتمعت فيها المقاصد

(1) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 10، ص، 59.

التي تحمل صفة الديمومة والاستمرارية، وعليه نقترح من خلال هذه الدراسة البسيطة، وفي ظل تمثل النظريات الغربية بكثير من الحفاوة فيه إفراط مقيت إن صح التعبير اللغوي، ضرورة الاعتناء بهذه الدراسات الكلاسيكية وليس التهجم عليها من قبل رواد الدرس المعاصر، الذي صار ينظر إلى البلاغية التقليدية بكثير من التعالي، بل صاروا يرفضونها في الدراسات الأكاديمية (مذكرات الماستر والليسانس)، ثم كيف يفهم ويستشعر الرهب والرغب القرآني، ونحن بعيدين عن القاعدة التأسيسية لهذه العلوم العربية الأصيلة؟! والله ولي التوفيق والسداد.

6. قائمة المصادر والمراجع:

- جمال الدين. ابن منظور (2008) لسان العرب، بيروت، دار صادر.
- جمعة، حسين، (2005) جمالية الخبر والإنشاء، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب
- ابن جني، أبو الفتح عثمان (1952)، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، مصر، دار الكتب المصرية.
- حكيمة، بوقرومة (2025): دراسة الأفعال الكلامية في القرآن الكريم، مقارنة تداولية، مجلة الخطاب، تيزي وزو، الجزائر، مج 03، ع 3.
- الرافعي، مصطفى صادق (2022)، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، د ب، مؤسسة هنداوي للنشر والتوزيع.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، (2002)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا، لبنان، مؤسسة الرسالة.
- سعيد بن صديق، عزيزة صالح (2024)، الإنشاء الطلبي وبلاغة الصورة الشعرية (قراءة في ديوان الإمام الشافعي)، المجلة الدولية للنشر والبحوث والدراسات، مج 06، ع 61.
- السيوطي، جلال الدين (2008)، الإتقان في علوم القرآن، السعودية، مجمع الملك فهد.
- صمود، حمادي: (1981م)، التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس، تونس، منشورات الجامعة التونسية.
- بن عاشور، محمد الطاهر، (1987)، التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر.

- عتيق، عبد العزيز (2009)، في البلاغة العربية . علم المعاني، بيروت، لبنان، دار النهضة العربية.
- مطلوب، أحمد (1983)، معجم المصطلحات البلاغية، العراق، مطبعة المجمع العلمي العراقي.
- هارون، عبد السلام، (2001م)، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مصر، مكتبة الخانجي.

7. Bibliography List

- Al-Rafi'i, Mustafa Sadiq (2022). The Inimitability of the Quran and Prophetic Eloquence. D.B: Hindawi Foundation for Publishing and Distribution.
- Al-Sa'di, Abd al-Rahman bin Nasir (2002). Taysir al-Karim al-Rahman fi Tafsir Kalam al-Mannan. Edited by: Abd al-Rahman bin Mualla. Lebanon: Al-Resala Foundation.
- Al-Suyuti, Jalal al-Din (2008). Al-Itqan fi Uloom al-Quran. Saudi Arabia: King Fahd Complex.
- Atiq, Abd al-Aziz (2009). On Arabic Rhetoric: The Science of Meanings (Ilm al-Ma'ani). Beirut, Lebanon: Dar Al-Nahda al-Arabiya.
- Hakima, Bougrouma (2025). A Study of Speech Acts in the Holy Quran: A Pragmatic Approach. Discourse Journal, Tizi Ouzou, Algeria, Vol. 03, Issue 3.
- Hamadi, Sammoud (1981). Rhetorical Thinking Among Arabs: Its Foundations and Development to the Sixth Century. Tunis: Tunisian University Publications.
- Harun, Abd al-Salam (2001). Compositional Styles in Arabic Syntax. Egypt: Maktabat al-Khanj
- Ibn Ashur, Muhammad al-Tahir (1987). Al-Tahrir wa al-Tanwir. Tunis: Tunisian Publishing House.
- Ibn Jinni, Abu al-Fath Uthman (1952). Al-Khasais. Edited by: Muhammad Ali al-Najjar. Egypt: Egyptian Book House.
- Jumaa, Hussein (2005). The Aesthetics of News and Composition. Damascus: Arab Writers Union Publications.

- Matloub, Ahmad (1983). Dictionary of Rhetorical Terms. Iraq: Iraqi Scientific Academy Press.
- Said bin Siddiq, Aziza Saleh (2024). Demandive Composition and the Eloquence of Poetic Imagery (A Reading in the Diwan of Imam Al-Shafi'i). International Journal of Publishing, Research, and Studies, Vol. 06, Issue 61.
- Ibn Manzur, Jamal al-Din (2008). Lisan al-Arab. Beirut: Dar Sader.